مؤلف: **مجموعة مؤلفي بيان الإسلام**
مصدر: **موسوعة بيان الإسلام**
لتاريخ: **17/08/2020**

نص السؤال

الفهم الخاطئ للقسم في القرآن الكريم

الجواب التفصيلي

الفهم الخاطئ للقسم في القرآن الكريم (*)

ون الشبهة:

يدعي بعض المشككين أن القرآن الكريم يعتمد على القسم في مواضع كثيرة، ويستدلــون

ـى:

(والشمس وضحاها (1))

(الشمس)

لــه تعالــى:

(والفجر (1))

(الفجر)

وقوله أيضا:

(والضحى (1) والليل إذا سجى (2))

(الضحى).

يم.

إبطال الشبهة:

1) القسم في القرآن الكريم جاء لأغراض عدة، منها: مراعاة لاختلاف الاستعداد النفسي لدى البشر، وتوكيدا للمعاني.

2) القسم في القرآن الكريم بهذه المخلوقات جاء للاستدلال المحض، ولم يكن الغرض منه تقديسها أو تعظيمها.

3) لله تعالى أن يحلف بما شاء من مخلوقاته كما هو وارد في كل الكتب السماوية، وليس للعبد أن يحلف إلا بالله تعالى، ثم إن القسم ورد أيضا في الكتاب المقدس.

ل:

اء القسم في القرآن نظرا لاختلاف الاستعداد النفسي لدى البشر:

قياده لنوره، فالنفس الصافية يكفيها في الانصياع إليه اللمحة والإشارة، وأما النفس التي رانت عليها سحابة الجهل، وغشيتها ظلمة الباطل، فلا يهتز قلبها إلا بمطارق الزجر، وصيغ التأكيد، حتى يتزعزع نكيرها، و
رق توكيد الكلام، وإبراز معانيه ومقاصده على النحو الذي يريده المتكلم، ومعلوم أن القرآن نزل بلغة العرب، وإثبات المطالب بالحلف واليمين طريقة مألوفة عندهم، فكان من عادتهم أنهم إذا قصدوا توكيد الأخبار
سم به، والمقسم عليه، وأداة القسم، وما يعنينا الحديث عنه - فيما نحن بصدده - هو "المقسم به" ولمجيئه في القرآن الكريم أغراض منها:

عيدا عنا يثير الرهبة والعظمة والجلال، والقسم به يثير لدينا الفضول العلمي وحب الاستطلاع، وذلك كالسماء وما فيها من شمس وقمر ونجوم.

ه شيئا مما يحيط بالإنسان ويتعايش به ومعه، ويقسم الله تعالى به لما فيه من منافع وفوائد، كالتين والزيتون.

- **يقسم الله تعالى بنفسه المقدسة الموصوفة بصفاته، أو بآياته المستلزمة لذاته وصفاته، وإقسامه ببعض مخلوقاته دليل على أنه من عظيم آياته [1].**

الله - عز وجل - بمخلوقاته لا يعني تقديسها وتعظيمها:

هاد والاستدلال، وليس التعظيم والتقديس، إذ ورد استخدام العرب للقسم بمعنى الاستشهاد والاستدلال، مثل قول عنترة:

والخيل تعلم والفوارس أنني

فرقت جمعهم بطعنة فيصل

المقصود هنا: إلا أنك لو سألت الخيل ونطقت لشهدت على دعواه.

ربه [2]، لا يترك الرجل قاتل أبيه وهو ينظر إليه"، ثم طعنه فقضى عليه، وهو هنا لم يرد تقديس هذه الأشياء وتشريفها - وإن كانت عظيمة عنده - وإنما أراد أن يقول إنه تام العدة، قادر على الثأر، ومن ثم، فلا يس
دل على أن القسم في القرآن الكريم لم يكن للتعظيم والتقديس، من ذلك:

- **تعميم المقسم به على طريق تعميم الآيات الدالة،**

لى:

(والشمس وضحاها (1) والقمر إذا تلاها (2) والنهار إذا جلاها (3) والليل إذا يغشاها (4) والسماء وما بناها (5) والأرض وما طحاها (6) ونفس وما سواها (7))

(الشمس)،

ليه.

- **ما يتبع المقسم به من التنبيه على كونه دليلا للعقلاء،**

ا قال تعالى:

(والفجر (1) وليال عشر (2) والشفع والوتر (3) والليل إذا يسر (4) هل في ذلك قسم لذي حجر (5))

(الفجر)

برة،

ـى:

(فلا أقسم بمواقع النجوم (75) وإنه لقسم لو تعلمون عظيم (76))

(الواقعة)

ن فيها دلالة عظيمة وشهادة كبيرة، فصرح بعظمة القسم لا بعظمة المقسم به.

ا ببعض، فقد يذكر الله تعالى الأمور الدالة على أسلوب القسم بها تارة، وأخرى على أسلوب الآية والعبرة، وكلها إشهاد لمـــن يتفكـــر فيهـــا،

ال تعالى:

(إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب ا

(البقرة)

سلوب القسم بهذه الآيات، فأشهد بالسماء والأرض، والشمس والضحى والفجر،... وغيرها.

له تعالى أن يقسم بما شاء من مخلوقاته - كما هو واضح في الكتب السماوية كلها - وليس للعباد أن يحلفوا إلا بالله تعالى:

رك،

ا قال صلى الله عليه وسلم:

«من حلف بغير الله فقد أشرك»

[3]

. وإنما أقسم الله بمخلوقاته؛ لأنها تدل على بارئها، وهو الله تعالى، وللإشارة إلى فضيلتها ومنفعتها ليعتبر الناس بها. وعن الحسن قال: "إن الله ليقسم بما شاء من خلقه، وليس لأحد أن يقسم إلا بالله" [4].

ياء 62: 8). وفي الإنجيل: "من حلف بالهيكل فليس بشيء، ولكن من حلف بذهب الهيكل يلتزم. أيها الجهال والعميان! أيما أعظم: ألذهب أم الهيكل الذي يقدس الذهب؟ ومن حلف بالمذبح فليس بشيء، ولكن من

ور 110: 4). وفي سفر التكوين: "بذاتي أقسمت". (التكوين 22: 16).

قط [5].

ة:

ن إلى القسم جريا على عادة العرب في توكيد الكلام وإبراز معانيه، ومن أغراضه أيضا: أن يكون شيئا يثير الفضول العلمي وحب الاستطلاع، وقد يكون شيئا مما يحيط بالإنسان ويتعايش به ومعه، فيقسم الله تعال

وجل - ببعض مخلوقاته أن هذه الأشياء معظمة ومقدسة، بل إن القسم بها جاء على سبيل الاستدلال والاستشهاد، ومثال ذلك كثير في لغة العرب الفصيحة.

من مخلوقاته، وله وحده سبحانه وتعالى أن يحلف بما شاء من خلقه، فكل شيء تحت أمره ورهن إشارته، أما العبد، فلا يجوز له أن يحلف بغير الله؛ لأن هذا من قبيل الشرك بالله. ولذلك نرى كل الكتب السماوية تنـ

المراجع

لموقع الكلمة. 1] www.alkalema.com]. مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط 13، 1425هـ/2004م، ص284 وما بعدها.

2الشيف.

3 ـ (6072)، وأبو داود في سننه، كتاب الإيمان والنذور، باب في كراهية الحلف بالآباء (3253)، وصححـه الألبانـي في صحيـح أبي داود (2787).

4يه (12288).

5الإسلامية. www.islamweb.org